

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ سَيِّدِي يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ

إِخْوَتِي أَخَوَاتِي أَبْنَائِي بَنَاتِي سَلَامٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعاً.

ملفُ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ

الحلقة (٢٣) ٢٠١٣/٤/٢٠ م

عنوانُ حلقتنا هذه (إمام زماننا الحجّة بن الحسن صلوات الله عليهما بين التنزيل والتأويل) كما مرّ في العنوانين السابقين (الزهراء صلوات الله عليها بين التنزيل والتأويل)، (الزهراء صلوات الله عليها بين علماء الشيعة) نفس الشيء، هذه الحلقة عنوانها (الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه بين التنزيل والتأويل) الحلقة القادمة عنوانها (الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه بين علماء الشيعة).

المعرفة التي ذُكرت تحت عنوان (الزهراء بين التنزيل والتأويل) هي التي تقودنا إلى المعرفة التي سأتناولها وأتناول خطوطها العامّة في هذه الحلقة (الحجّة بن الحسن بين التنزيل والتأويل) والكلام الذي ذُكر تحت عنوان (الزهراء بين علماء الشيعة) يقود بشكل طبيعيّ إلى نفس المعرفة ونفس المضامين التي سأذكرها في حلقة يوم غد (الحجّة بن الحسن بين علماء الشيعة) فهناك ترابط بين هذه العناوين وهناك تعانق بين هذه المضامين، معرفة الزهراء هي التي تُوصل إلى معرفة إمام زماننا إذا أحسنّا في معرفتها فإننا سنحسُّ في معرفة إمام زماننا

وإذا أسأنا في معرفتها فإننا سنُسيء في معرفة إمام زماننا، هذه هي الحقيقة التي تغيب عن أذهان الساحة الشيعية العلمية، مشكلة كبيرة، ربّما قد يسخر البعض من كلامي فليسخر ليس مهمّاً، بالنسبة لي ليس مهمّاً إنّي أسخر من عقله وأضحك من قلة فهمه وإنّي أسخر من جهله فيما قاله آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وربّما يستغرب البعض ويحقّق له أن يستغرب هذه المضامين لأنّ الساحة الشيعية ثقافتها العامة وحتى ثقافتها الخاصة حتى النخبة ثقافتهم إلى النخاع محشوة بالفكر المخالف لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

نحن حين نقرأ في زيارة الصديقة ونحمل هذا الاعتقاد كما قلت في الحلقة الماضية (وَأَنَّ مَنْ سَرَكَ فَقَدْ سَرَّ رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ جَفَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ أَذَى رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ وَصَلَكَ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ قَطَعَكَ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنَّكَ بَضْعَةٌ مِنْهُ وَرُوحُهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشْهَدُ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ) لِمَنْ ولأبي سبب جعلت كل هؤلاء اليهود، مبتدئاً بالله ومثلياً بالرسل ومثلاً بالملائكة وأنا في محضر فاطمة؟ (أشهد الله ورُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ أَنِّي رَاضٍ عَمَّنْ رَضِيَتْ عَنْهُ سَاخِطٌ عَلَيَّ مَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ) هل هذه المعاني معانٍ تقف عند أحداث تاريخية؟ عند خصومة أو عند فديك أو عند حدث وقع في اليوم الفلاني ومضى في التاريخ؟ أم أنّ هذه القضية قضية حيّة مستمرة ورضاها بنفس القوّة بنفس الفاعلية بنفس السطوع إن كان في زمن السقيفة أو في يومنا هذا، هناك ما يرضيها وهناك ما يُسخطها، هذه المضامين هل هي مضامين على سبيل الحكاية وحكايات العجائز للأطفال أم أنّها حقائق الدين؟! إذا كانت حكايات عجائز إذاً فالدين كلّ حكاية، الدين كلّ أساطير، وإذا كانت هذه حقائق فأين تفعيل هذه الحقائق؟ هل هي كلمات نقرأها فنكذب على أنفسنا ونكذب على الصديقة أو هو لغو نلغو به، يا جماعة خبرونا كيف تكون هذه المضامين على أرض الحقيقة والواقع؟ حين أحاطب فاطمة بهذه الخطابات ماذا يعني ذلك؟ هل يعني أيّ في مقام المجاملة، إنني حضرت مثلاً إلى مناسبة لإحياء ذكرى شاعرٍ من الشعراء، فيلسوفٍ من الفلاسفة، سياسيٍّ من الساسة، زعيمٍ من الزعماء، فلا بدّ أن أقول كلمةً في تأيينه وأذكر شيئاً من أجداده، هل هذا

الكلام من هذا القبيل؟ إذا كان الكلام من هذا القبيل فسلامٌ على ديننا، أو أنّ هذا الكلام حقائق، إذا كان هذا الكلام حقائق لا بدّ أن نقف عند هذه الحقائق، نحن بين أمرين كما ذكرت في الحلقة الماضية نحن بين سفاهةٍ وفقاهة، إمّا أن نمرّ على هذا الكلام ليس مرور الكرام مرور السفهاء وإمّا أن نمرّ على هذا الكلام مرور الفقهاء، واحد من اثنين، نحن بين سفاهةٍ وبين فقاهاة، إمّا أن نمرّ مرور السفهاء وحينئذٍ لا كلام لنا مع السفهاء، هم معذورون عذرهم في سفاهتهم ولا نلومهم، لا يُلام السفيه، هو سفيه كيف يُلام، ولكن نلوم من عنده فقه والمراد من الفقه الدراية، المعرفة، العمق، لا الفقه العنوان المعروف الشائع الذي يتناول المسائل السطحيّة ويُخيّل لأصحابه بأنهم على عمقٍ ودراية وهو أمرٌ سطحيٌّ مجرد تعقيد في الألفاظ لا أكثر، المضامين مضامين سطحيّة لأنّها تدور مدار إفعال لا تفعل لا أكثر من ذلك، فكيف نتعامل مع هذه النصوص؟ إذا كانت القضية سطحيّة وعابرة إذاً لا بدّ أن نعيد النظر في كلّ شيء وفي كلّ التفاصيل، وإذا أعدنا النظر في كلّ التفاصيل بهذا الفهم وبهذه النظرة الساذجة حينئذٍ سنمحو الدين محوً كاملاً، إمّا إذا نظرنا بعمقٍ وهو النظر الحقيقي لأنّ هذه المطالب تتفرّع وتتفرّع ولن تنتهي تفرّعاتها، وكلّما أوغلنا في التفاصيل وكلّما أوغلنا في الأعماق، وهذا هو الذي يدلّنا على صدق هذه الحقائق لأننا كلّما توغلنا كلّما تجددت وظهرت أعماق وأعماق وأعماق ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فمن أحسن معرفة فاطمة هذه المعرفة تقوده إلى معرفة دينه، لأنّ هذا الدين هو دينها ﴿دين القيمة﴾ هذا الدين دين القيمة، الملائكة حين تنزل من كلّ أمر وبكلّ أمر تنزل والروح يرعاها، تنزل الملائكة والروح، الروح فيها يرعاها، هو قوامها مدد طاقتها، والروح تجلّ من تجليات فاطمة، أليس مرّت الروايات والأحاديث علينا بهذا الخصوص هذا التنزل هو نحو من أنحاء التجلّي على من؟ على إمام زماننا، الملائكة تنزل والروح فيها على من؟ على صاحب هذا الأمر، البوابة من هنا والطريق من هنا والخارطة الصحيحة غير المزورة تقول من هنا، إذا أردت أن تعرف الطريق، من فاطمة وبعدها إلى الحجّة بن الحسن، القضية واضحة، إذا كان اعتقادنا بمحمّدٍ وعليٍّ والذي يتجسّد بالحجّة بن الحسن، محمّدٌ وعليٌّ أين يتجسّدان، أين يظهران؟ إعتقادنا بمحمّدٍ وعليٍّ أين يظهر؟ يظهر في إمام زماننا، إذا كنّا نخطبها في زيارتها: (فإنا نسألك إن كنا صدقناك) يا بنت محمّدٍ (إلا الحقتنا بتصديقنا) نحن أقررنا في

الرواية في بصائر الدرجات مرّت علينا وهي واضحة لا تحتاج إلى شرحٍ طويل، حين تحدّثت في الحلقات الماضية عن أنّ ديننا له أصلٌ واحد هو الإمامة وبعبارة مختصرة أصلُ الدين الإمامة، كلمة إمامنا الصادق في الرسالة التي بعثها إلى المفضّل بن عمر (ثمّ إنني أخبرك أنّ الدين وأصل الدين هو رجلٌ وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه) القضية واضحة، الرسالة طويلة ولكن هذه العبارة واضحة لا تحتاج إلى شرح، هذه لا تحتاج إلى كثير جهد، هذه الرسالة موجّهة للشيعة، المعنى واضح والكلمات ليس عليها غبار ولا تحتاج إلى شرحٍ طويل أو عريض، العبارة واضحة جداً أصلُ الدين هو رجل وذلك الرجل هو الحجّة بن الحسن هذا هو أصل الدين وانتهينا.

كيف نتعامل مع هذا الرجل؟

أمير المؤمنين يقول لنا هذا هو نهج البلاغة الشريف، وهذه هي الخطبة السابعة والثمانون، ماذا يقول سيّد الأوصياء وهو يتحدّث عن أصنافٍ ممن يدعون العلم، الخطبة طويلة إلى أن يقول: (وآخر قد تسمّى عالماً وكيس به) يعني وليس بعالمٍ (فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال) من هم هؤلاء الجهال والضلال هل هم في وادي الكتاب والعترة أو في وادٍ آخر؟ في وادٍ آخر، القضية واضحة لا تحتاج إلى شرح، (وآخر قد تسمّى عالماً وكيس به فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ونصب للناس أشراكاً من حباثل غرور وقول زور) قول الزور القول الذي لا صلة له بأهل البيت (قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أهوائه) إلى آخر الكلام إلى أن يقول: (فأين تذهبون وأنّي تُوفكون) إلى أيّ جهة عقولكم مُنصرفة؟ تُوفكون يعني تُصرفون، إلى أيّ جهة عقولكم ذاهبة؟ (فأين تذهبون وأنّي تُوفكون والأعلام قائمة) العلامات واضحة (والآيات واضحة والمنازل منصوبة) كلُّ شيء موجود لماذا تُعرضون بوجوهكم وبعقولكم عنها، فأين تذهبون العلامات من هذا الطريق، هذا الطريق الذي تذهبون فيه غير مُحطّط، غير مُعلّم لا توجد فيه علامات، هذه متاهة من هذه

الجهة، الجهة المعلّمة من هنا (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ) الأعلام في هذه الجهة لماذا تذهبون إلى الجهة التي ليست فيها علامات وتتيهون؟ (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُنَاهِ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيِّكُمْ) لماذا تذهبون إلى جهة ثانية (وَهُمْ أَرْمَتْهُمُ الْحَقُّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَالسِّنَةُ الصِّدْقِ) ألسنة الصدق يعني تمسكوا بحديثهم، نحن في هذا الزمان إذا أردنا أن نتمسك بهم كيف نفعل ذلك؟ هو التمسك بحديثهم (وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَرْمَتْهُمُ الْحَقُّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَالسِّنَةُ الصِّدْقُ فَانزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ) ثمّ ماذا؟ (وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعُطَاشِ) الهيم الإبل، العطاش الإبل العطشى (وَرِدُّوهُمْ) مثلما تردّ الإبل العطشى حين ترى الماء في الغدير في النهر في الشطّ في أيّ مكان في حياض المياه، حين ترى الإبل العطشى الماء فإنّها تتدافع تدافعاً شديداً يثور الغبار وكأَنَّها تتقاتل وتقتتلّ بجنون تهجم الهيم العطاش على الماء (وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعُطَاشِ) ماذا تريد أن تشير هذه العبارة؟ تريد أن تقول أفرغوا قلوبكم وعقولكم من كلّ شيءٍ إلاّ منهم، إجعلوها مستقلة لهم، خالصة لهم، وثانياً أوقفوا التفكير معهم، معهم لا جدال ولا نقاش، القضية واضحة، لماذا توقفون عقولكم مع أناسٍ عاديين، سمّوهم ما شئتم أن تسمّوهم، أيّ صفةٍ من الصفات أعطوهم، لماذا توقفون عقولكم مع أناسٍ عاديين؟ ماذا تريد أن تسمّوهم فقهاء، علماء، فلاسفة، حكماء، عرفاء، مراجع، ماذا تريد أن تقلّ قل من الأسماء، صالحون، أتقياء، زُهّاد، أولياء، العقول لا توقف إلاّ مع هؤلاء، مع أهل البيت، أمير المؤمنين هنا حين يتحدّث (وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعُطَاشِ) لماذا هذه الخصلة تُعطى لغير أهل البيت؟ هذه الخصلة خاصّة بأهل البيت هكذا نتعامل معهم، ويستمرّ أمير المؤمنين يقول: (أَيُّهَا النَّاسُ خُذُواهَا عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ) كَمَا قُلْتُ نَحْنُ نَتَعَامَلُ مَعَ الزُّهْرَاءِ بِنَحْوِ آخَرٍ، نَحْنُ لَا نَتَعَامَلُ مَعَ الزُّهْرَاءِ مَعَ شَخْصٍ مَاتَ وَانْتَهَى (أَيُّهَا النَّاسُ خُذُواهَا عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ)

أنت تتصوّر أنّه يبلى، لا يبلى هو، أنت تتصوّر أنّه يموت وهو لا يموت (فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ) لا تقولوا بما لا تعرفون، هذه حقائق الغيب خدوها عنّا عن السنة الصدق (فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ) لكن هذه الكلمة جدّاً قويّة (فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ) أكثر الحقّ في الأشياء التي تنكرونها، هذه حقائق ساطعة وواضحة (فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ) لكن جوهر حديثي هو عن هذه الجملة (وَرَدُّهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعُطَّاشِ) هكذا يجب علينا بوجوب العقل والمنطق والوجدان والفترة وبوجوب الأمر العلويّ (وَرَدُّهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعُطَّاشِ) فهل نتعامل مع أتمتنا عموماً ومع إمام زماننا خصوصاً بهذا النحو وهل علاقتنا مبنية معهم بهذا العمق وعلى هذا الأساس؟ سؤال يجيب عليه كلُّ شخصٍ من عمق وجدانه.

نحن حين نمرُّ على كلمات أهل بيت العصمة وهذه الرواية مرّت علينا أيضاً هذا هو (غيبة الشيخ النعماني) والرواية عن إمامنا الصادق، الإمام يتحدث مع يحيى بن عبد الله (يَا يَحْيَىٰ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً وَاحِدَةً، الْمَفْرُوضُ الشِّيعِيُّ إِذَا سَمِعَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْمَفْرُوضُ لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ لَا يَوْجَدُ هَذَا الْمَعْنَى، الْمَفْرُوضُ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِذَا سَمِعَهَا الشِّيعِيُّ أَنْ تَهَزَّهَ مِنْ أَعْمَاقِ أَعْمَاقِهِ (يَا يَحْيَىٰ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً) مَنْ بَاتَ لَيْلَةً، وَبَعْضُ اللَّيَالِي تَكُونُ سَاعَاتٍ قَلِيلَةً، سَاعَاتٍ قَلِيلَةً جَدًّا، لَيْسَ كُلُّ اللَّيَالِي فِي كُلِّ الْأَزْمَنَةِ وَفِي كُلِّ الْأَمَكَنَةِ تَكُونُ طَوِيلَةً، وَالْإِمَامُ يَتَحَدَّثُ عَنْ لَيْلَةٍ بِشَكْلِ عَامٍّ عَنْ لَيْلَةٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ فَبَعْضُ اللَّيَالِي فِي بَعْضِ الْأَمَكَنَةِ تَكُونُ قَصِيرَةً جَدًّا وَفِي بَعْضِ الْأَزْمَنَةِ تَكُونُ قَصِيرَةً جَدًّا، قَدْ لَا تَتَجَاوَزُ السَّاعَتَيْنِ وَرَبَّمَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً) لَيْلَةً وَاحِدَةً طَالَتْ أَوْ قَصُرَتْ (لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً) مَا الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْمَضْمُونِ؟ لَيْسَ هُنَا الْحَدِيثُ مِنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ تَلِكُ فِي أَصْلِ الْقَضِيَّةِ

هنا في التفاصيل، والحقائق في التفاصيل تتبين (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) هذه الرواية تريد أن تقول بأن الميته الجاهليّة على درجات، والمعرفة على درجات.

وهذا المعنى نتلمّسه في آيات الكتاب الكريم، حينما نقرأ في سورة البقرة في الآية السابعة والخمسين بعد المتين: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ قطعاً الذين آمنوا ليس في مرتبة واحدة لا في

النيّة بمرتبة واحدة ولا في العقول ولا في العلم ولا في العمل و...، الناس يختلفون و جهات الاختلاف كثيرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وظلمائنا تختلف أيضاً، ربّما تكون الظلمة التي أنا فيها

أشدّ من الظلمة التي أنت فيها وربّما بالعكس، فحين تُخرج من هذه الظلمات سأخرج من ظمّتي التي هي تناسب وخصوصيّاتي وأنت تخرج من ظلمتك التي تناسب وخصوصيّاتك، فيخرجنا الله إلى نوريّة هذه النوريّة التي سنخرج إليها أيضاً تناسب مع خصوصيّاتنا، هناك اختلاف، هذه الظلمة، الحديث هنا عن الموت، هذه

هي الميته الجاهليّة، إذا نقرأ ونتدبّر في الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الذين آمنوا ما هي ظلماتهم؟ هم آمنوا، من أيّ ظلمات يخرجون إلى النور ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَا لَهُمُ الطَّاغُوتُ

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الذين كفروا أيّ نور عندهم حتّى يخرجون إلى الظلمات؟! الآية تحتاج إلى

تدبّر ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ يعني الذين آمنوا كانوا في الظلمات والكفار كان لهم نور؟! هل

يُعقل هذا الكلام!! ألا تتبهون إلى الآية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الذين

آمنوا لهم ظلمات يخرجون إلى النور والذين كفروا لهم نور يخرجون إلى الظلمات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَا لَهُمُ

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ولذلك حين يسألون الإمام الصادق عليه السلام عن هؤلاء

الذين كفروا هل هم الذين كانوا في الجاهليّة، الإمام يقول وأيّ نور كان لهم حتّى يخرجون من نور الكفر إلى

ظلماتٍ أخرى، أيّ نور إذا كانوا هم كفروا، هنا تتجلى حقيقة معنى التنزيل والتأويل، التنزيل في مرحلته كان

نوراً لكن هذا التنزيل الذي انتهى ببسطة الغدير حيث بدأ التأويل فحين كفروا بالتأويل خرجوا من نوريّة التنزيل إلى ظلمة الكفر بالتأويل، وإلا أيُّ نورٍ للذين كفروا، أمّا الذين آمنوا يخرجون من الظلمات إلى النور، من ظلمات جهلهم لا من ظلمات أصل الإيمان، فأصل الإيمان هم قد آمنوا، من ظلمات جهلهم بالتأويل، لأنّ العمليّة عمليّة تدرجيّة كما بيّنتُ في الحلقات الماضية أنّ التأويل في ترقُّ، لم يكن في مرحلة واحدة وإمّا في ترقُّ، فكلمّا ترقّى التأويل كالمّا خرج المؤمن من جهلٍ إلى معرفةٍ أعلى، هذا هو الإخراج من الظلمة إلى النور، الظلمة الموجودة هنا غير الظلمة الموجودة مع الذين كفروا، وأعتقد التدبُّر بدقّة يخرج هذا المعنى من الآية وهذه المضامين إذا جمعناها مع الآيات ومع الروايات تتحلّى بشكل واضح وصريح جدّاً، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وليُّ الذين آمنوا، حينما آمنوا كان وليّاً لهم فهل هم في ظلمة؟ هم في نوريّة ولكن هذه النوريّة بالقياس للنوريّة التي بعدها تكون ظلمة، الآية واضحة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم آمنوا، الله يصف نفسه بأنّه وليُّ لهم فهل هم في ظلمة؟ ليس في ظلمة، لكن مراتب الترقّي لا تنتهي ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مرحلة التنزيل بالنسبة للتأويل تكون ظلمة، مرحلة التنزيل في حدّ ذاتها نور ولكن إذا قيسَت بما بعدها ستكون هذه المرحلة ظلمة، ومن هنا حين يأتي الحديث عن سلمان وعن أبي ذر هؤلاء من أهل التأويل وهم في زمان النبيّ ولكن سلمان كان في الدرجة العاشرة وأبو ذر في الروايات في التاسعة، الروايات تقول أنّ مقداد في الثامنة وأبو ذر في التاسعة وسلمان في العاشرة، حين نزور سلمان المحمّدي: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْعَاشِرَةِ) الدرجة العاشرة من درجات الإيمان (لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ) هذه الظلمة هذه مرحلة ظلمة (لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ) لقتله إمّا أنّ علم سلمان قتل أبا ذر أو أنّ أبا ذر قتل سلمان، بالنتيجة هناك ظلمة (لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَكَفَّرَهُ أَوْ لَتَرَحَّمَ عَلَى قَاتِلِهِ) هذه كلّها مراتب، كالمّا ترقّى سلمان وصار هناك فاصل فيما بينه وبين أبي ذر الحالة التي يكون فيها أبو ذر تعبّر عنها هذه الروايات، هذه ليس لحالة واحدة، هذه عدّة حالات، (لَقَتَلَهُ)، (لَتَرَحَّمَ عَلَى قَاتِلِهِ)، (لَكَفَّرَهُ)، حالات

الترقي في التأويل، ﴿الله وليُّ الذين آمنوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَانُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الحديث في هذه الرواية: (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) في هذا الجؤ في هذا المضمون.

إذا نذهب إلى سورة الأنعام الآية الثانية والعشرون بعد المئة: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا﴾ ليس له إمام الروايات تقول، فأحييناه بإمام بمعرفة الإمام، هي هذه الميتة (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ هذه الحياة لها مراتب.

إذا نذهب إلى سورة الأنفال ماذا نجد فيها في الآية الرابعة والعشرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الروايات صريحة ولاية عليٍّ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ جوهر الدعوة هو هذا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ إذا دعاكم لِمَا يُحْيِيكُمْ إلى ولاية عليٍّ، ولاية عليٍّ حياة القلوب واضح هذا المعنى في كلمات أهل البيت، ولاية الحجّة بن الحسن هي حياتنا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ والآية تتحدّث عن حياة القلوب ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا﴾ في الآية الثانية والعشرين بعد المئة من سورة الأنعام ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ جعلنا له نوراً يمشي به في الناس، هذا النور هو نفسه الذي مرّ في الآية السابعة والخمسين بعد المئتين في سورة البقرة: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾،

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ الروايات تقول الذي ليس له إمام ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ يبقى من ظلمة إلى ظلمة، كلما تعمقت المعرفة كلما خرجنا من ظلمة إلى ظلمة ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ جعلنا له نوراً، يُرجعنا الكلام إلى المعرفة بالنورانية التي مرّ الحديث عنها وقلنا هناك نيرانية ونورانية وفاطمة فطمنا عن النيرانية، فطمت يعني قطعت، فطمت شيعتها فحين قطعتهم عن النيرانية ما بقي إلا باب آخر وهو النورانية، فهل تُحسن الدخول إلى هذا الباب؟ ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ .

في سورة الحديد الآية الثامنة والعشرون: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا أيها الذين آمنوا، ماذا يأتي الكلام: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هم مؤمنون ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ويجعل لكم نوراً تمشون به، إماماً، إماماً تقتدون به.

حين نذهب إلى الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور، حين نقرأ: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، في روايات أهل البيت حين تفسر هذه الآية، رواية عن أمير المؤمنين مفصلة أنا أذهب لموطن الحاجة ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ﴾ قال: هُوَ الْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ نورٌ على نور، هذا النور على النور يقودك إلى أين؟ ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ في قول أمير المؤمنين ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ﴾ قال: لِلْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ لإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) نحن لا نضمن أن نزداد معرفةً فماذا نصنع؟ ماذا نصنع في مثل هذه الحالة، نحن لا نضمن أن نزداد في كل ليلة معرفةً، ماذا نصنع؟ هو أن

نتمسك بعروة فاطمة، التمسك بعروة فاطمة هو باعث على التطهر والتطهر هو البداية، نتمسك بعروة فاطمة، نقول يا زهراء وعيوننا إلى الحجة بن الحسن، هذا هو المنفذ الوحيد، نحن لا نستطيع أن نحصل على الشيء الذي نريده نحن، لو كان ذلك لما قالت الروايات بأنه (لَوْلَمْ يَبْقَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحَجَّةَ) لأنّ هذا الباقي لا يستطيع أن يصل إلّا بوجود الحجّة، هذه المضامين واضحة في كلمات أهل البيت وفي روايات أهل البيت، ماذا تعني هذه الروايات؟ (لَوْلَمْ يَبْقَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحَجَّةَ) لأنّ الله سبحانه وتعالى لطفه رحمته جوده قوانينه نظامه حكمته علمه، كل ذلك يقتضي أن تكون الحجّة قائمة وموجودة والسبب هو حاجة هذا الكائن، إذا أردنا أن ننظر إلى الأمور بعمق النظر إلى الأمور بعمق يوصلنا إلى هذه النتائج التي هي بديهية وبسيطة وواضحة لكن في كثير من الأحيان النتائج البسيطة والبديهية والواضحة بسبب ما يُثار حولها من غبارٍ تصبح غير واضحة، تصبح مشوّهة ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ هذا النور الذي تُهدى إليه وتوفيق منه صلوات الله وسلامه عليه، إنّ نور إمام زماننا الحجّة بن الحسن، الحديث هنا في الرواية (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) هناك معرفةً مجملة وهناك معرفةً مفصّلة، قد يقول القائل في بعض الأحيان ويختصر الكلام إنّنا لا نعرف أهل البيت، صحيح هذا إنّنا لا نعرف أهل البيت حقّ المعرفة ولكن لا أن تكون معرفتنا فقط بهذه الكلمة ولا نعرف ماذا وراءها، هذه ليست فحوى ودلالة هذه العبارة، مثلاً حينما تأتي في كلمات أهل البيت وفي أدعيتهم (وَجَعَلَتْ مَعْرِفَتَكَ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ) العجز عن المعرفة ليس كلمة أو جملة أرددها وإنّما لا بدّ أن تكون هناك معرفة واسعة مفصّلة لا حدود لها وتلك المعرفة أوصلتني إلى العجز عن المعرفة، لا بدّ أن تكون القضية هكذا، حين يقول النبي صلّى الله عليه وآله: (نَصْفُ الْعِلْمِ قَوْلُ لَا أَعْلَمُ) حينما يكون الإنسان لا يعلم ويقول أنا لا أعلم هل هذا هو نصف العلم؟! قد يكون إذا نظرنا للقضية من جهة أخلاقية أو من جهة النظام التربوي والتعليمي ممكن

لكن الرواية لا تشير إلى هذا الوجه فقط، (نصفُ العِلْمِ قولٌ لا أعلم) أنّ الإنسان عنده من العلوم الكثيرة والمعارف الكثيرة ولكنها توصله إلى هذه النتيجة، هذا هو العالم، عنده علوم كثيرة معارف كثيرة ولكن هذه العلوم والمعارف توصله إلى هذه النتيجة فحين يصل إلى هذه النتيجة إنّه يصل إليها بعلم وبوضوح، لا أنّه لا يملك معارف وعلوم ويقول أيّ لا أعلم فقد حاز على نصف العلم، هذه سداجة في الفهم، إذا أردنا أن نفهم الحديث بهذا الفهم بأنّ المراد أنّ الإنسان أوّل خطوة للتعلّم أن يعترف بأنّه لا يعلم تلك قضية ثانية هذا وجه آخر من وجوه الحديث لكنني لا أتحدّث عن هذه الجهة، أنا أتحدّث عن النتيجة حينما يصل الإنسان إلى نتيجة بأنّ معرفته العجز عن المعرفة، هذه ليس كلمة تتردّد، هذه بحاجة إلى معرفة تفصيلية والمعرفة التفصيلية تقوده إلى هذه النتيجة تقوده إلى العجز عن المعرفة، حينئذٍ يلامس هذه الحقيقة مُلامسة يقينيه أو قريبة من اليقين، ونحن نتحدّث عن إمام زماننا وفي أجواء هذه الرواية (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً) مرّة نتحدّث عن معرفة إجمالية وأخرى نتحدّث عن معرفة تفصيلية، عن معرفة إجمالية لنذهب إلى سورة القلم في الآية الرابعة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخطاب للنبيّ وبنفس المضمون هو خطابٌ لهم جميعاً (أَوْلَانَا مُحَمَّدٌ أَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ آخِرُنَا مُحَمَّدٌ كُلُّنَا مُحَمَّدٌ)، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ما كان لأولنا فهو لآخرنا وما كان لآخرنا فهو لأولنا، نورٌ واحد طينةٌ واحدة كلُّهم مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولولا مُحَمَّدٌ لا كانوا هم صلوات الله عليهم ولا كنّا نحن، وكلُّ شيءٍ هو لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُحَمَّدٌ هو الأوّل وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن، كلُّنا لِمُحَمَّدٍ وَكُلُّنَا مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ خطابٌ لِمُحَمَّدٍ لِعَلِيٍّ لِفَاطِمَةَ حَسَنِ حُسَيْنٍ لَهُمْ طَاهِرًا بَعْدَ طَاهِرٍ وَمَعْصُومًا بَعْدَ مَعْصُومٍ وَإِمَامًا بَعْدَ إِمَامٍ لَهُمْ كُلُّهُمْ، حين نخاطبهم في دعاء التوبة: (أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ صَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ) كلُّهم هكذا إمامٌ بعد إمامٍ من إمام الأئمة مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى خَاتِمِ الْأُئِمَّةِ الْحَجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ، الخطاب لهم جميعاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ حين أقفُ بين يدي هذه الآية ماذا أقول؟

إنّه خطابٌ من عظيمِ السماءِ إلى عظيمِ الأرضِ فماذا أقول؟ أين أضع عباراتي وأين أضع كلماتي وأين أقف؟ أنا أساساً قبل أن أبحث عن موضعٍ لكلماتي وعباراتي أين أقف؟ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه العبارة حتّى قولِي بأنّها خطابٌ من عظيمِ السماءِ إلى عظيمِ الأرضِ إنّهُ تسطيرٌ إنشائي لا أكثر من ذلك، هذا تدييحٌ في القول، وصفٌ للكلمات، القضية أبعد من ذلك وأكبر من ذلك ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ حين نتحدّث عن العظمة ما معنى العظمة؟ العظمة هو شعورٌ عندَ الإنسان يتجاوز فيها فكره وخياله حدود الطاقة التي يمتلكها ذلك الإنسان، لعقله حدود طاقة وخصاله كذلك، حين يواجه شيئاً هذا الشيء يشعر بأنّ هذا الشيء يتجاوز حدود عقله وحدود خياله حدود طاقته الإدراكيّة، يجد في ذلك الشيء من المواصفات، من الإمتيازات، من المعاني التي تتجاوز حدود عقله وحدود خياله فينتقل اللسان وينطلق الفكر وينطلق العقل مُقرّاً بعظمة ذلك الشيء، فإذا كانت القضية تتجاوز حدود العقل وحدود الخيال إذاً لا تعريف لها، لا يوجد لها تعريف، نحن بماذا نُعرّف؟ ألا نُعرّف من خلال الصور العلميّة، الصور العلميّة أين توجد، كيف تُركّب الصور العلميّة؟ تُركّب الصور العلميّة من مجموعة أشياء ذهنيّة، إشارات ذهنيّة من هذه الإشارات الذهنيّة معلومات سابقة، بديهيّات، إستنتاجات، تراكيب علميّة تُركّب منها الصور في أذهاننا، إذا كان أساساً الكاميرا التي نحملها لا توجد فيها عدسة تُصوّر هذه الصورة، الصورة وسيعة، المجال الذي يُراد أن يُصوّر وسيع جداً وفسيح جداً، لا الذي يحمل الكاميرا يرى الحدود ولا الكاميرا متمكّنة من أن ترى الحدود، إذاً لا توجد صور، إذا كانت الصور غير موجودة كيف نستطيع أن نصل إلى نتيجة؟ لا يوجد إلّا الإنبهار نبهر هو هذا العظمة، حينما نواجه شيئاً عظيماً هو انبهار، حالة انبهار الشعور بالعظمة، بالله عليكم الأشياء التي بهذه السعة وبهذه المواصفات والإمتيازات نحن نقف عندها عاجزين ونصفها بالعظمة ولا نستطيع أن نتصوّرها، هل نستطيع أن نتصوّر أنّ شيئاً في نظر الله عظيم؟ كيف يكون بالله عليكم خبروني!! خبروني الله سبحانه وتعالى يتحدّث عن شيءٍ عظيم، على سبيل المثال: طفل في الروضة التمهيديّة ويعود إلى البيت فيحدّث أمّه أو أباه أو إخوته فيقول إنّ فلان أو فلانة زميلته في الصف رسمت لوحةً عظيمةً أو قامت بعملٍ عظيم، هو في نظر هذا الطفل شيءٌ خارق للحدود، في نظره عظيم، لكن حينما يكون مثلاً عالماً كبيراً من العلماء الكبار

فيلسوف كبير ويصف شيئاً بالعظمة قطعاً العظمة التي يتحدّث عنها ذلك العالم الكبير، فنّان من الفنّانين الكبار ويتحدّث عن لوحة بأثما عظيمة، قطعاً مقاييس ذلك الفنّان لا كمقاييس هذا الطفل الذي هو في الروضة، طفل في الروضة يتحدّث عن رسمه رسمها زميل أو رسمتها زميلة له فيصفها بالعظمة في حدود مقاييسه إنَّها عظيمة، الفنّان الكبير، الفنّان العالمي، الفنّان الأوّل بين الفنّانين حين يصف لوحة من اللوحات بالعظمة قطعاً العظمة هنا تختلف، حينما نصف شيئاً بالعظمة وحينما يصف الله شيئاً بالعظمة هل يوجد وجه للمقاييس؟ هل نستطيع أن نضع نسبة؟ نقول بأنّ العظمة التي نحض ندرکها بعقولنا بخيالنا ببصيرتنا بكلّ ما أوتينا من قوّة وحسّ لو أعطينا أيضاً قوّة، لو أعطانا الله قوّة ونحض بهذا الكيان قطعاً الله سبحانه وتعالى لن يعطينا ونحض بهذا الكيان قوّة وقدرة مطلقة كقدرته لا يمكن، هذا الكيان لا يتحمل، العطاء يكون بقدر القابل، الحكمة هكذا تقتضي وإلا فسد النظام، سيكون هناك انقلاب في القوانين، هذا خلاف الحكمة، العطاء الأعظم يكون بالنسبة لي عطاء أعظم لا بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى لأنّ الله يستطيع أن يعطي أعظم وأعظم إلى الما لانهايات ولكن بالنسبة لي يكون العطاء يتناسب مع قدرتي على استقبال العطاء، على أيّ حال، فحسّ لو أعطينا قدرات إضافية في الخيال في البصيرة في التصرّور في أيّ شيء في العقل في الإدراك في القدرة على الإحاطة المعرفيّة، هل يمكن أن نضع مقاييس بين إدراكنا للعظمة وبين ما يصفه الله بالعظمة؟ الله يصف شيئاً بالعظمة، هذه قضیة تتجاوز كلّ الحسابات ولو دققنا النظر في الآية لوجدنا أنّ الله سبحانه وتعالى لا يصف مُحمّداً بالعظمة، دققوا النظر في الآية، إنّه يصف آثار مُحمّدٍ بالعظمة، فَمُحمّدٌ أعظم من ذلك، إنّه يتحدّث عن خُلُقِ مُحمّدٍ لا يتحدّث عن مُحمّدٍ، والخُلُقُ شيءٌ من آثاره ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية هنا تتحدّث عن أثرٍ من آثار مُحمّدٍ وهذا الأثر بسيط بالنسبة لمُحمّدٍ لأنّ مُحمّداً حقيقة واسعة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الآية هنا تتحدّث عن أثرٍ بسيطٍ من آثار مُحمّدٍ، الله يتحدّث عن هذا الأثر فيصفه بأنّه عظيم، فَمُحمّدٌ ما هو إذأ؟! والحديث عن إمام زماننا هو هو، الآية هنا بنفس المضمون عن إمام زماننا تتحدّث عن أثرٍ من آثاره أمّا هو لا يوجد كلام من أين آتي بالكلام، إذا كان الله يتحدّث عن أثرٍ من آثاره فيصفه بالعظمة فما تريد منّي أن أقول، أنا هنا لا أملك إلا أن أقول ما جاء في

دعاء البهاء في دعاء السحر في دعاء المباحلة سمّ ما شئت وهو مروى عن أكثر من معصوم صلوات الله عليهم (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا) إِنَّهُ مُحَمَّدٌ وَبِعِبَارَةٍ صَرِيحَةٍ إِنَّهُ الْحَجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ وَانْتَهَى، هَذَا الدُّعَاءُ كُلُّهُ هُوَ الْحَجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَمَالِكَ، مِنْ جَلَالِكَ، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا وَكُلُّ عَظَمَتِكَ عَظِيمَةٌ) العظمة على مراتب هذه مرتبة من المراتب أمّا أعظم العظمة فذلك شيء آخر، الحديث هنا في هذه الآية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه مرتبة من مراتب العظمة، هذا أثر من آثاره أمّا أعظم العظمة فذلك شيء آخر (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا) من عظمتك بأعظمها ليس عندي، عنده سبحانه وتعالى أعظم العظمة، ليس عندي أنا، حين أقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا) هل أني أسأله بشيء أنا أرى بأنّه هو أعظم العظمة أم أني أقسم عليه بأشياء هو يعرفها، أليس حين أسأله فإنني أسأله بأشياء هو يعرفها لا بأشياء أنا أعرفها (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا) بذلك الشيء الذي أنت تعرفه يا إلهي والذي لا أعرفه أنا، ما أدراني بذلك الشيء؟ هذا الشيء يتجاوز حدود عقلي وحدود خيالي وحدود بصيرتي وحدود كل أنواع القوى والقدرات الإدراكية التي أملكها، هذه معرفة إجمالية وهي بحاجة إلى كلام طويل ولو مررنا على آيات الكتاب الكريم لوجدنا الحقائق واضحة جلية (مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً) تلك بيانات موجزة في المعرفة الإجمالية.

وأما المعرفة التفصيلية فالحديث فيها يطول ولكنني سأتناول جوانب من هذه المعرفة استناداً إلى كلماتهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهنا أشير إلى نقطة مهمة أنّ المعرفة التفصيلية بابها وساحتها الواسعة وميدانها الحقيقي هو حديث الكتاب والعترة، كلمات المعصومين (كلامكم نور) لكن هذه القضية بحاجة إلى ضوابط إلى قواعد إلى قوانين إلى معرفة، كيف نتعامل مع حديث أهل البيت؟ ذلك ما يأتي

بيانه إن شاء الله تعالى إن وَقَّعْتُ لذلك في الملفّ القادم (ملفّ الكتاب والعترة)، لكن ما لا يُدرك كُله لا يُترك كُله كما يقول سيّد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

في مقدّمة تفسير القمّي علي بن إبراهيم وهو تفسيرُ إمامنا الصادق وكلُّ الكلام الموجود في هذا الكتاب منقول عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، منقول عن أئمّتنا، حديثهم واحد عن باقرهم عن صادقهم حديثهم حديثُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ممّا جاء في مقدّمة هذا الكتاب التي يستقيها علي بن إبراهيم القمّي من كلمات المعصومين يتحدّث عن القرآن فيقول، بعد أن يقول: فالقرآن منه ناسخٌ ومنه منسوخٌ ومنه محكمٌ ومنه متشابهٌ _ إلى أن يقول: ومنه آياتٌ بعضها في سورةٍ وتامها في سورةٍ أخرى _ للقرآن خصوصيّات في بُنيته اللغويّة وفي تراكيبه الأدبيّة له خصوصيّات وفي أساليب تعبيره وفي مضامين معانيه وفحواويه، من جملة هذه الخصوصيّات: منه ناسخٌ ومنه منسوخٌ ومنه محكمٌ ومنه متشابهٌ ومنه آياتٌ بعضها في سورةٍ وتامها في سورةٍ أخرى _ وهناك خصوصيّات أخرى كثيرة لكن هذه من الخصوصيّات الموجودة في كلام أهل البيت، حين نريد أن نتناول حديث أهل بيت العصمة لندخل إلى ميادين معرفة إمامنا التفصيليّة لا بدّ أن نعرف هذه الحقائق.

عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه الرواية أيضاً عن علي بن إبراهيم نفسه صاحب التفسير (عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي حَيَّوْنَ مَوْلَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ) كيف يرده؟ يرده عن طريق الصراط المستقيم عن طريق عليّ وآل عليّ، ومَرَّ علينا في خطبة الغدير النبويّة أنّه لا يفسّر القرآن إلّا هذا، إلّا عليّ، (مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: إِمَامِنَا الرِّضَا، إِنْتَبَهُوا إِلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ إِلَى هَذَا الْقَانُونِ) (ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهًا كَمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَمُحْكَمًا كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ فَرَدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوا)

هناك موازين وهذا موضوع المحكم والمتشابه في الروايات موضوع طويل عريض، أنا سأورد مثال على ذلك، مثلاً من خصوصيات كلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

في كتاب الإختصاص للشيخ المفيد، الشيخ المفيد عنون هذا الفصل (كتاب محنة أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام)، محتته مع الناس محنة عليّ وإلى يومك هذا ويذكر هذه الرواية: (أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ

أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ قَاعِدًا فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ فَقَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُمْ:

وَيُحْكَمُ إِنَّ كَلَامِي صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ، قَالُوا: لِأَبَدٍ مِنْ أَنْ تُحَدِّثَنَا، قَالَ: قَوْمُوا بِنَا فَدَخَلَ الدَّارَ

مَا أَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ فِي مَلَأَ عَامٌّ دَخَلَ إِلَى مَكَانٍ (فَدَخَلَ الدَّارَ فَقَالَ: الدار هنا قد تكون يُشار بها إلى داره أو

الدار يُراد منها غرفة، قاعة، حجرة، مكان تسمّى بالدار في لغة العرب (قَوْمُوا بِنَا فَدَخَلَ الدَّارَ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي

عَلَوْتُ فَفَهَّرْتُ أَنَا الَّذِي أُحْيِي وَأُمِيتُ أَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) مجرد كلمتين قال (فَغَضِبُوا وَقَالُوا: كَفَرَّ

وَقَامُوا، فَقَالَ عَلِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْبَابِ: يَا بَابَ اسْتَمْسِكْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَمْسَكَ عَلَيْهِمُ الْبَابُ) يرون هذه القضية

أمامهم لكن هل استنتجوا منها شيئاً!! الباب استمسك عليهم (فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ كَلَامِي صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ

لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ، تَعَالَوْا أَفْسِرْ لَكُمْ، أَمَا قَوْلِي أَنَا الَّذِي عَلَوْتُ فَفَهَّرْتُ فَأَنَا الَّذِي عَلَوْتُكُمْ بِهَذَا السَّيْفِ فَفَهَّرْتُكُمْ حَتَّى

أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ فَأَنَا أُحْيِي السُّنَّةَ وَأُمِيتُ الْبِدْعَةَ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا الْأَوَّلُ فَأَنَا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَأَسْلَمَ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا الْآخِرُ فَأَنَا آخِرُ مَنْ سَجَى عَلَى النَّبِيِّ ثَوْبَهُ وَدَفَنَهُ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فَأَنَا عِنْدِي عِلْمُ

الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، قَالُوا: فَرَجَّتْ عَنَّا فَرَجَّ اللَّهُ عَنكَ) هذه جموع السفهاء والأغبياء إلى يومك هذا موجودة، هل

هناك لأمير المؤمنين من حاجة أن يقول هذا الكلام العميق ويقصد منه هذا المضمون السطحي؟! ولكن ماذا

يصنع لهؤلاء السفهاء والإمام أراد أن يبيّن حقيقة حتى تصل إلينا هذه الحقيقة، وأجمل عنوان وضعه الشيخ

المفيد وأول رواية وضعها في هذا الباب (كتاب محنة أمير المؤمنين)، وهذه محنة أمير المؤمنين وإلا هل هذه الكلمة (أنا الظاهر والباطن) معناها أنا عندي علم الظاهر والباطن؟! لكن هذه القضية موجودة، أبعد عن أهل البيت مقاماتهم، قَطَّعَهُم، قَرَضَهُم تكون أنت الأفضل، الآن في المؤسسة الدينية الذين يكونون قريين من الجهات العليا في المؤسسة الدينية غالباً من هذا الصنف، هؤلاء هم الذين تُفْتَحُ لهم الأبواب، الذين يُقَلَّلون من شأن الأئمة إلى أقصى حدّ، هؤلاء هم الذين تُفَرِّشُ لهم البُسْطُ وهذه هي القضية التي نتحدث عنها منذ بداية هذا البرنامج وإلى هذه اللحظة وسببها هو ضياع علماء الشيعة بين التنزيل والتأويل، وهذا مصداق من مصاديق الضياع بين التنزيل والتأويل وإلى يومك هذا هناك العديد من العلماء ومن الخطباء ومن الكُتَّاب حين يتحدثون يأتون بهذه ويقولون مقصود أمير المؤمنين هو هذا، إلى يومك هذا، بينما الرواية واضحة صريحة جداً، وكما قلت قبل قليل مثلما في القرآن هناك آيات في سورة تَمَّتْها في سورة أخرى ومثلما قال إمامنا الرضا هناك محكم ومتشابه، هناك خصوصيات في كلام أهل البيت لا بدّ أن نعرفها حتى نستطيع أن نصل إلى تفاصيل المعرفة وهذه القضية لا يمكن أن تُدرك في يومٍ أو ليلة، هذه تحتاج إلى جهدٍ، تحتاج إلى فترة زمنية طويلة وإلى بحث ودراسة وتعمُّق، الرواية واضحة وما عندي وقت أقرأ الرواية مرّة ثانية وإن كان بوذي أن أقرأ الرواية وإني أعلم ربّما البعض من الإخوة ومن الأخوات ربّما يضحجون من تكراري، أنا أعرف هذه القضية ولكن هذه المسائل تحتاج إلى تكرار، تحتاج إلى تأكيد وبتكرار أحاديث أهل البيت، أنتم لو سمعتم نفس الرواية أكثر من مرّة ستلنفتون إلى نُكَّات في المرّة الثانية ما كنتم قد التفتتم إليها في المرّة الأولى، هذه قضية في حديث أهل البيت، في آيات الكتاب الكريم، الحديث المعصوم إن كان في القرآن أو في حديث العترة في حالة تجدّد، وحينما نتعامل مع حديث أهل البيت بتقديس واحترام وحينما نتعامل مع حديث أهل البيت على أنّه المنهل الذي لا يَنْضُب، تتجدّد عندنا المعاني مع كلّ قراءة، ومع كلّ استماع، إنّه حديثُ النور وحديثُ النور يتجدّد، إنّه حديثُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

هذا الكافي الشريف الرواية كانت من كتاب الإختصاص لشيخنا المفيد رضوان الله تعالى عليه وهذا هو الكافي، في الكافي روايةٌ يرويها سدير فماذا يقول سدير الصيرفي (قال: كُنْتُ أَنَا وَأَبُوبَصِيرٍ وَيَحْيَى الْبَزَّازُ وَدَاوُدُ

ابن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا) في مجلس أبي عبد الله يعني في المكان العام لاستقبال ضيوفه وزواره يُقال له مجلس، مجلس يعني بعبارة أخرى في المصطلحات المتعارفة عندنا مثلاً في العراق البراني، في قاعة الإستقبال، في دار الضيافة (كُنتُ أنا وأبو بصير ويحيى البزاز ودأود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا) كان في قسم آخر من داره، هذا القسم هو قسم الزوار (إذ خرج إلينا وهو مغضب فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لإقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي) والله في كثير من كتب العلماء يقفون عند هذا الحد وبعد ذلك يتحدثون أن أهل البيت لا يعلمون الغيب، الرواية بقي منها ثلاثة عشر سطر ونصف وهذه السطور التي قرأتها من الرواية هي أقل من أربعة أسطر، حدود ثلاثة أسطر لأن السطر الأول فيه نقص والسطر الرابع فيه نقص، وبقي من هذه الرواية أكثر من ثلاثة عشر سطر، يقتطعون الرواية في كثير من كتب علمائنا وفي دروس ومحاضرات ولا يكملون الرواية، السؤال هنا: لماذا؟ إذا كانت الرواية صحيحة فلماذا فقط الجزء الأول؟ إذا كانت الرواية ضعيفة فلماذا أخذتم قسماً منها؟ هذا التقطيع لماذا؟ هي هذه الحيرة بين التنزيل والتأويل، هذا المقدار تستطيع عقولهم له، المقدار المتبقي لا تستطيع عقولهم لذلك ويبدأون يستدلون على أن الأئمة لا يعلمون الغيب، واضح مجلس عام ولذلك أنا شرحت كلمة مجلس، والإمام تحدّث بهذا الحديث لكن لنقرأ بقية الرواية (قال سدير: فلما أن قام من مجلسه) هذا المجلس العام (وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر عليه وقلنا له جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب) لا نقول هذا للناس (ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل: ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرند إليك طرفك ﴾ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم

الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به، قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فيما يكون ذلك من علم الكتاب) يعني آصف بن برخيا الذي قال عنه القرآن بأنه عنده علم من الكتاب ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ الإمام يقول ما عند آصف بن برخيا من علم الكتاب، من علم الكتاب كله، لأن الآية قالت عنده علم من الكتاب، ما عند آصف بن برخيا من علم الكتاب هو قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، البحر الأخضر يعني البحر الواسع، في البحر الأخضر يعني في البحر الواسع جداً، وهذه كناية، البحر الأخضر يعني كأنك إذا نظرت إلى الماء على مدّ البصر لا نهاية، لا ساحل، كأنك ترى لون الخضرة في الماء (قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب) يعني إذا كان علم آصف ابن برخيا هو قطرة إلى البحر فما قيمة هذا العلم إلى علم الكتاب الواسع (قال: قلت: جعلت فداك ما أقل هذا) علم هذا الرجل آصف بن برخيا قليل (فقال: يا سدير ما أكثر هذا) ليس قليل، أنت تقول ما أقل هذا تريد أن تقايس علمه بعلمك، ما أكثر هذا، هذا صاحب علم واسع لكن لو قيس بعلم الكتاب كله كان قليلاً، لا بعلمك، (قال: قلت: جعلت فداك ما أقل هذا!! فقال: يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضاً: ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بضعه؟ قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأوماً بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، (علم الكتاب والله كله عندنا) واضحة الرواية، واضح، الكلام الأول يتحدث عن أفق مع الناس كان في مجلسه العام، لماذا يقتطع علماؤنا الشطر الأول من الرواية ويستدلون به على عدم علم الإمام بالغيب ويتكلمون هذا المقدار الأكبر؟ لماذا؟ وحتى على المنابر يذكرون فقط القسم الأول، ألا يدلنا على وجود

فايروس، على وجود مرض؟ لذلك الأئمة حين نتعامل مع حديثهم لا بدّ أن نكون على دراية كيف يتكلّمون (لا تكونوا فقهاء حتى تعرفوا معاريف كلامنا) لا بدّ أن نعرف كيف يتكلّم الأئمة، حينئذ نفهم ماذا يريدون.

رواية مختصرة وجميلة لربّما تختصر المضمون الذي ورد في الرواية السابقة، أيضاً في الكافي الشريف (عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ كُنْتُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي الْأُظْلَةِ؟) في العوالم الأولى، مصطلح الأظلة إلى العوالم الأولى، المرحلة الأولى من الخلق، (فَقَالَ يَا مُفَضَّلُ: كُنَّا عِنْدَ رَبِّنَا لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ غَيْرُنَا فِي ظِلِّ خَضْرَاءٍ نُسَبِّحُهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُهَلِّلُهُ وَنُتَمَجِّدُهُ وَمَا مِنْ مَلَكٍ مُتَقَرَّبٍ وَلَا ذِي رُوحٍ غَيْرُنَا حَتَّى بَدَّلَهُ فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ فَخَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ ثُمَّ أَنْهَى عِلْمَ ذَلِكَ إِلَيْنَا) كلُّ شيءٍ هم يعلمون به وانتهى، ومرّت علينا الروايات السابقة واضحة وصریحة في ذلك لكنني هنا أقتطف نماذج من هنا ومن هناك من حديثهم الشريف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

نحنُ نقرأ في زيارة إمام زماننا، هذه الزيارة معروفة بزيارة الندبة غير دعاء الندبة وهذا الجزء التاسع والتسعون من بحار الشيخ المجلسي، كيف نخاطب الإمام الحجّة؟ في بعض المزارات يسمونها بزيارة آل ياسين غير المشهورة، مثلما موجود زيارة عاشوراء المشهورة وزيارة عاشوراء غير المشهورة، هذه تسميات من الذين جمعوا الأدعية والزيارات، من المؤلّفين، زيارة عاشوراء المشهورة وغير المشهورة، زيارة آل ياسين المشهورة وغير المشهورة، ماذا جاء في زيارة الندبة ونحنُ نخاطب الإمام الحجّة (وَمِنْ تَقْدِيرِهِ) من تقدير الله (وَمِنْ تَقْدِيرِهِ مَنَائِحُ الْعَطَاءِ بِكُمْ إِنْفَاذُهُ مَحْضُومًا مَقْرُونًا) العطاء منكم يأتي (وَمِنْ تَقْدِيرِهِ مَنَائِحُ الْعَطَاءِ بِكُمْ إِنْفَاذُهُ مَحْضُومًا مَقْرُونًا فَمَا شَيْءٌ مِنَّا إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ وَإِلَيْهِ السَّبِيلُ خِيَارُهُ) (فَمَا شَيْءٌ مِنَّا إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ وَإِلَيْهِ السَّبِيلُ) وهذا ليس خاصّاً بنا فقط، لكننا لأننا نتحدّث معه وإلا فَمَا شَيْءٌ من الوجود إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل (خِيَارُهُ لَوْلِيكُمْ نِعْمَةٌ وَأَنْتُمْ مِنْهُ)

عَدُّوْكُمْ سَخْطَهُ فَلَا نَجَاةَ وَلَا مَفْرَجَ إِلَّا أَنْتُمْ وَلَا مَذْهَبَ عَنْكُمْ يَا أَعْيُنَ اللَّهِ النَّاطِرَةَ وَحَمَلَةَ مَعْرِفَتِهِ وَمَسَاكِنَ تَوْحِيدِهِ فِي
 أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ وَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَبَقِيَّةَ كَمَالِ نِعْمَتِهِ وَوَارِثَ أَنْبِيَائِهِ وَخُلَفَائِهِ مَا بَلَغْنَا مِنْ دَهْرِنَا وَصَاحِبَ
 الرَّجْعَةِ لَوْ عَدَّ رَبَّنَا الَّتِي فِيهَا دَوْلَةُ الْحَقِّ وَفَرَجُنَا وَنَصْرُ اللَّهِ لَنَا وَعَزَّتْنَا) وَأَنْتَ عَزَّنَا يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ
 الْمَرَامِيِّ وَالْمَسْمُوعِ الَّذِي بَعَيْنَ اللَّهُ مَوَاقِيَهُ وَبَيَدِ اللَّهِ عُهُودَهُ مُجَاهِدَتِكَ فِي اللَّهِ ذَاتُ مَشِيَّةِ اللَّهِ) أَنَا أَقْتَطِفُ مِنْ هُنَا وَمِنْ
 هُنَا عِبَائِرٌ، الْوَقْتُ مَا يَكْفِي لِقِرَاءَةِ كُلِّ الْعِبَارَاتِ (مُجَاهِدَتِكَ فِي اللَّهِ ذَاتُ مَشِيَّةِ اللَّهِ وَمُقَارَعَتِكَ فِي اللَّهِ ذَاتُ اتِّقَامِ
 اللَّهِ وَصَبْرِكَ فِي اللَّهِ ذُو أَنْتِ اللَّهُ وَشُكْرِكَ لَلَّهِ ذُو مَزِيدِ اللَّهِ) (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَحْفُوظًا بِاللَّهِ نُورُ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ
 وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَفَوْقِهِ وَتَحْتِهِ) (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَخْزُونًا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ نُورُ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ) (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي
 أَرْضِهِ) هَذِهِ الْمَضَامِينُ وَاضِحَةٌ وَمُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ زِيَارَاتِ إِمَامِ زَمَانِنَا فِي كُلِّ زِيَارَاتِهِمُ الشَّرِيفَةِ، إِنَّمَا جِئْتُ بِهَا مَثَلًا
 لِتَنَوُّعِ النُّصُوصِ وَإِلَّا كُلُّ الزِّيَارَاتِ الشَّرِيفَةِ تَشْتَمِلُ عَلَى هَذِهِ الْمَضَامِينِ وَالزِّيَارَةُ الْجَامِعَةُ الْكَبِيرَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى مَا
 هُوَ أَوْسَعُ وَأَعْمَقُ مِنْ هَذِهِ الْمَضَامِينِ لَكِنِّي آتِي بِمَثَلِ هَذِهِ النُّصُوصِ لِتَنَوُّعِ كَلِمَاتِهِمُ الَّتِي تَصِلُ إِلَى مَسَامِعِكُمْ.

فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ الرَّوَايَةُ عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، مَاذَا يَقُولُ إِمَامِنَا الصَّادِقُ؟ (إِنَّ اللَّهَ
 عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأُمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَا جِهَةً وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ تَبَايَعِ عِلْمِهِ
 فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ) هُنَا يَصِلُ الْإِنْسَانُ أَنْ
 يَتَذَوَّقَ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ بِهَذَا الشَّرْطِ: (فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَ طَعْمَ
 حَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ وَعَلِمَ فَضْلَ طَلَاوَةِ إِسْلَامِهِ) طَلَاوَةٌ يَعْنِي زِينَةً، جَمَالًا، (لَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عِلْمًا لِخَلْقِهِ
 وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ وَأَبْسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ وَغَشَاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ يَمُدُّ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ

مَوَادُّهُ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجِهَةِ أَسْبَابِهِ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ) نفحات من هنا ومن هناك، من كلماتهم النورية القدسيّة تتحدّث في تفاصيل معرفة إمام زماننا الحجّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا هو بحار الأنوار الجزء السادس والعشرون، وهذه كلمات إمامنا السجّاد صلوات الله وسلامه عليه مع جابر بن يزيد الجعفي، والإمام يحدثه عن أركان المعرفة، الرواية طويلة (يَا جَابِرُ إِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةُ الْمَعَانِي) قبل هذا تحدّث عن أركان أخرى ولكنني أقف عند هذين الركنين (يَا جَابِرُ إِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ) وأقف عند هذين الركنين لأنّ الإمام وقف عندهما، تحدّث عن بقيّة الأركان بشكلٍ مجمل، أشار إليها إشارةً، لكنّه فضّل هنا إمامنا السجّاد ولذا أقف عند التفصيل (يَا جَابِرُ إِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةُ الْمَعَانِي أَمَّا إِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ الْقَدِيمِ الْغَائِبِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَهُوَ غَيْبٌ بَاطِنٌ سُدْرِكُهُ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَأَمَّا الْمَعَانِي فَتَحْنُ مَعَانِيَهُ وَمَظَاهِرُهُ فِيكُمْ اخْتَرَعْنَا مِنْ نُورِ ذَاتِهِ).

إذا نذهب إلى دعاء شهر رجب المنقول عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ماذا نقرأ فيه؟ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلَاةُ أَمْرِكَ) المعاني الموجودة في ذوات وُلَاةِ أَمْرِكَ. نفسُ الكلام، الدعاء يُشير إلى نفس المضمون في الرواية: (وَأَمَّا الْمَعَانِي فَتَحْنُ مَعَانِيَهُ وَمَظَاهِرُهُ فِيكُمْ اخْتَرَعْنَا مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أُمُورَ عِبَادِهِ فَتَحْنُ نَفْعَ يَدِيهِ مَا نَشَاءُ وَتَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللَّهِ وَإِذَا أَرَدْنَا أَرَادَ اللَّهُ وَتَحْنُ أَحَلَّنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْمَحَلَّ وَأَصْطَفَانَا مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ وَجَعَلْنَا حُجَّتَهُ فِي بِلَادِهِ) الرواية طويلة أنا أشرت على مقدار كبير من هذه الرواية ولكنني أرى الوقت يجري سريعاً وهناك مطالب أخرى، يمكنكم أن تراجعوها وهذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار، الرواية مفصّلة وطويلة عن جابر بن يزيد الجعفي عن إمامنا السجّاد صلوات الله وسلامه عليه.

وفي حديث المعرفة بالنورانية قالها سيّد الأوصياء: (فإن الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فإنتم المؤمنون) يخطر يعني حتى في كلّ مستويات الإدراك، في مستوى الخيال، في مستوى الأوهام وإن كان الأوهام ليس من الإدراك، حتى في مستوى الأوهام إن تلك المعاني المرتبطة بهم لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر (فإن الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم) إلى أيّ حدّ تستطيعون أن تتحدّثوا، القضية أكبر من ذلك، هو نفس المعنى والمضمون الذي بيّنته في المعرفة الإجمالية إنّما هذه تفاصيل، في المعرفة الإجمالية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ حين قلت بأنّ الذهن البشريّ، العقل البشريّ، الخيال البشريّ حين يواجه الأمور العظيمة يجد أنّ هذه الأمور تتجاوز حدود عقله وحدود خياله لذلك يُقرّ مدعناً بالعظمة ويُقرّ مدعناً بالصغار بين يديها وبالصغر بين يديها (فإن الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم إذا عرفتمونا هكذا فإنتم المؤمنون) كلمات أهل البيت يشدّ بعضها بعضاً ويوضّح بعضها بعضاً، وكلّ ذلك يقودنا لكلمة سيّد الأوصياء التي قرأتها في أوائل الحديث (ورُدُّوهم ورُودَ الهيم العطاش) أن تكون علاقتنا مع إمام زماننا بهذا المقياس، بهذا الميزان، هل نتعامل معه بهذا الميزان، نرده ورُودَ الهيم العطاش!!

حينما التقى سعد بن عبد الله الأشعري بإمام زماننا أيّام الإمام الحسن العسكري ولسعد بن عبد الله الأشعري قصّة مفصّلة في كتب الحديث وكانت عنده مجموعة من الأسئلة سأل الإمام الحسن العسكري والإمام قال له سل الإمام الحجّة، سل إمام زماننا، فمن جملة ما سأل سعد بن عبد الله الأشعري القمّي الحجّة بن الحسن (قلتُ: فأخبرني يا ابن رسول الله عن أمر الله تبارك وتعالى) هذا هو البحار الجزء الثاني والخمسون وموجودة هذه الرواية في كتب كثيرة، أكثر الكتب التي كُتبت عن الإمام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه خصوصاً الكتب التي تتناول من رآه والتقى به تذكر هذه القصّة وهي قصّة طويلة مفصّلة

وموجودة أيضاً على موقع زهراييون فيّ قد ذكرتها في برنامج الحجّة بن الحسن العسكري إمام زماننا صلوات الله عليه وشرحتها عبارةً عبارة، موجودة على موقع زهراييون، موجودة على موقع al-mawaddah.be موجودة على الإنترنت بالنتيجة (قلتُ: فأخبرني يا ابن رسول الله) سعد يقول للإمام الحجّة (عن أمر الله تبارك وتعالى لنبيه موسى عليه السلام فأخلى نعليك إنك بالوادي المقدس طوى فإن فقهاء الفريقين) الفريقين يعني الموالين لهم صلوات الله عليهم والمخالفين (فإن فقهاء الفريقين يزعمون أنها كانت من إهاب الميتة) إهاب يعني جلد (فقال عليه السلام: من قال ذلك فقد افتري على موسى وأستجهله في نبوته لأنه ما خلا الأمر فيها من خطبين إما أن تكون صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت صلاته جائزة جازله لبسهما في تلك البقعة إذ لم تكن مقدسة وإن كانت مقدسة مطهرة) هذه إذ لم تكن مقدسة في نسخة من النسخ (وإن كانت مقدسة مطهرة فليس بأقدس وأطهر من الصلاة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب على موسى عليه السلام أنه لم يعرف الحلال من الحرام وعلم ما جاز فيه الصلاة وما لم تجز وهذا كفر) كيف يمكن لنبيّ (قلتُ: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما) ما هو التأويل؟ (قال: إن موسى عليه السلام) التأويل يعني الحقيقة، لاحظوا يتحدث هنا عن فقهاء الفريقين يعني من الشيعة ومن غيرهم، لاحظوا حينما يذهب الإنسان بعيداً عن أهل البيت كيف يفهم وحينما يأتي إلى أهل البيت (قلتُ: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما؟ قال: إن موسى عليه السلام ناجى ربه بالوادي المقدس فقال: يا ربي إني قد أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمّن سواك وكان موسى شديد الحب لأهله فقال الله تبارك وتعالى: أخلى نعليك أي انزع حُبَّ أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً) إذا كان قلبك لي فانزع منه الميل إلى سواي، إغسله، أعيد الكلام (قلتُ: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما؟ قال: إن موسى عليه السلام ناجى ربه بالوادي المقدس) في رواياتنا الوادي المقدس النجف بغض

النظر عن هذا المعنى الآن الحديث عن المناجاة التي جرت بين موسى وبين الله (فَقَالَ: يَا رَبِّي إِنِّي قَدْ أَخْلَصْتُ لَكَ الْمَحَبَّةَ مِنِّي وَغَسَلْتُ قَلْبِي عَمَّنْ سِوَاكَ وَكَانَ مُوسَى شَدِيدَ الْحُبِّ لِأَهْلِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِخْلَعْ نَعْلَيْكَ أَيَّ أَنْزِعَ حُبَّ أَهْلِكَ مِنْ قَلْبِكَ إِنْ كَانَتْ مَحَبَّتُكَ لِي خَالِصَةً وَقَلْبُكَ مِنَ الْمَيْلِ إِلَيَّ مِنْ سِوَايَ مَغْسُولًا) فهنا في مناجاته أمر بأن يخلص قلبه من حب أهله، المضمون واضح.

إذا نذهب إلى كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق، رواية جميلة في باب المئة والعشرين (عَنْ صَبَّاحِ الْمَزْنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) الإمام الصادق ماذا يقول؟ يقول: (عَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِئَةَ وَعِشْرِينَ مَرَّةً مِمَّا أَوْصَاهُ اللَّهُ وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ وَالْإِئْمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ أَكْثَرَ مِمَّا أَوْصَاهُ بِالْفَرَائِضِ) موسى على الأرض وميقاته على الأرض فماذا كان الأمر؟ وهو نوع معراج، المعارج مختلفة، في الروايات أتعلمون أنّ في بعض الروايات أنّ معراج يونس كان في بطن الحوت، أحد مضامين وجود يونس في بطن الحوت معراجة هذا، أحد مضامين وجود يونس كان معراجاً له، مثلما عندنا في بعض الأخبار أنّ الصلاة معراج، وكلّ مؤمن يتعامل مع الصلاة بحسبه، لكن بالنتيجة هي معراج له، معراجه صلواته، كلّ بحسبه، الإمام الصادق هنا يتحدّث عن أنّ النبيّ عرج مئة وعشرين مرّة، قد يقول البعض نحن سمعنا بمعراج واحد، هذا المعراج الذي سمعت به لا قيمة له مع هذه المعارج، ذلك المعراج معراج جبرئيلي، معراج مع البراق وجبرئيل، معراج النبيّ المعراج الحمديّة هذه لا يقاس بها ذلك المعراج، ذلك المعراج معراج أريد أن يُخَبَّرَ به البشر لإطلاعهم على بعض الحقائق، أمّا هذه معارج بين النبيّ وبين الله، هذه معارج وحتى عدد مئة وعشرين إنّه من مضاعفات العدد الثاني عشر وهذه قضايا فيها تفاصيل ربّما نتناولها في وقتٍ آخر، هذه معارج، معراج مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا حدود لها وهذه معارج عليّ معراج الزهراء، قرأنا كيف أنّه في بيت عليّ وفاطمة فرجة مكشوفة إلى السماء وأنّ بيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن وأنهم لا يجدون في بيوتهم سُقْفًا، لَمَّا قرأت هذه الرواية التي ذكرها السيّد الخميني في كتابه الآداب المعنويّة للصلاة نقلها عن الشيخ الطوسي،

الرواية التي رواها عبد الله بن عجلان السكوني عن الإمام الباقر، بيث عليّ وفاطمة حجرة رسول الله، التفصيل الذي مرّ في الحلقات الماضية ومعارج الملائكة، أصلاً الملائكة تعرج إليهم هم جهة العروج، المعاني عميقة جداً، في روايات كامل الزيارات قبر الحسين عليه السلام هو محلّ العروج، من قبره يكون العروج، مضامين الحديث عميقة جداً وهذه إشارات سريعة في الروايات، أنا هنا لا أريد الحديث عن معارجهم، الحديث عن معارجهم وردت فيه روايات كثيرة جداً يُترك لحاله، أنا هنا أريد أن أشير إلى هذه القضية أنّ موسى على الأرض في ميقاته وعُبر عن حبه لأهل بيته وهو حبّ نبويّ ليس حبّاً عادياً، موسى من أولي العزم لكن عُبر عنه بالنعلين، ومُحمّد في معارجه التي لا يُقاسُ بها ذلك المعراج الجبرائيلي حين قال لو دنوت أملة لاحتزقت، معارج مُحمّد فوق تلك المعارج، هذه المعارج المحمّديّة، وكلّما عرج مُحمّد صلّى الله عليه وآله تأتي التوصية بولاية عليّ وآل عليّ وأنتم هل تستطيعون أن تجدوا مجالاً للمقايسة؟! هذه معارج مُحمّد وفي كلّ معراج يأتي الأمر بالولاية لعليّ وآله (عَرَجَ النَّبِيُّ مِئَةً وَعِشْرِينَ مَرَّةً مِمَّا أَوْصَاهُ بِالْفَرَائِضِ) وحتى هذه البيانات هي بيانات تقريبية لأنّ الفرائض لا فيها النبي بالولاية لعليّ والأئمة أكثر ممّا أوصاه بالفرائض) وحتى هذه البيانات هي بيانات تقريبية لأنّ الفرائض لا تُقاس بولاية عليّ وآل عليّ، الفرائض فروع وإن كانت هذه الفروع تجلّيات لتلك الولاية كما قال أمير المؤمنين أنا صلاة المؤمنين وصيامهم، الصلاة هي صورة وتجلّ عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مثلما القرآن هو تجلّ لفظي، كتاب صامت، الصلاة أيضاً هي تجلّ لهم في العبادات، في عالم العبادات صورتهم هي الصلاة وفي عالم الكتب السماوية صورتهم القرآن، وإلا هم الحقيقة المحيطة وكلّ شيء أحصيناه في تلك الحقيقة المبينة في إمام مبین في تلك الحقيقة الجامعة، لا يمكن أن نجد وجهاً للمقايسة ولكنّها أمثلة أنا جئت بهذا على سبيل المثال والأمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجه آخر، حتى هذه الأمثلة لأنّه لا يمكن أن أقيس بين المقام المحمّديّ وبين موسى على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام فهو من شيعته فكيف يمكن المقايسة بين الأصل وبين الفرع، لا يمكن المقايسة ولكنّها أمثلة لتقريب المعاني، في بعض الأحيان نضطر إلى استعمال أمثلة قد تكون بعيدة جداً لكنّها في جهة من جهاتها قد تقرب شيئاً من المعنى وهذا هو الذي فعلته.

ختامُ حديثي في هذه الكلمات التي ينقلها لنا طارق بن شهاب عن سيّد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، فماذا يقول سيّد الأوصياء يتحدّث عن آلِ مُحَمَّدٍ عن مُحَمَّدٍ وآله الأطهار وهو حديثٌ عن إمام زماننا (خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ) وهذا هو الجزء الخامس والعشرون من بحار الأنوار، حديث طارق بن شهاب عن سيّد الأوصياء (خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ وَوَلَّاهُمْ أَمْرَ مَمْلَكَتِهِ) المملكة هنا الحديث عن الوجود (خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ وَوَلَّاهُمْ أَمْرَ مَمْلَكَتِهِ فَهُمْ سِرُّ اللهِ الْمَخْزُونِ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَقَرَّبُونَ وَأَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالتُّونِ لَا بَلُّ لَهُمُ الْكَافِ وَالتُّونِ إِلَى اللهِ يَدْعُونَ وَعَنْهُ يَقُولُونَ وَبِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي عِلْمِهِمْ وَسِرُّ الْأَوْصِيَاءِ فِي سِرِّهِمْ وَعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ فِي عِزِّهِمْ كَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ) تلاحظون نفس الأمثلة من كتب مختلفة ومتفرقة، نفس المضامين مرّت علينا قبل قليل الرواية في الكافي الشريف التي تتحدّث عن آصف بن برخيا (عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي عِلْمِهِمْ وَسِرُّ الْأَوْصِيَاءِ فِي سِرِّهِمْ وَعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ فِي عِزِّهِمْ كَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ وَالدَّرَّةُ فِي الْفَقْرِ وَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عِنْدَ الْإِمَامِ كَيْدِهِ مِنْ رَاحَتِهِ يَعْرِفُ ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَيَعْلَمُ بَرَّهَا مِنْ فَاجِرِهَا وَرَطْبَهَا وَيَابِسَهَا لِأَنَّ اللهُ عِلْمُ نَبِيِّهِ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَوَرِثَ ذَلِكَ السِّرَّ الْمَصُونِ الْأَوْصِيَاءِ الْمُتَجَبُّونَ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ شَقِيٌّ مُلْعُونٌ يَلْعَنُهُ اللهُ وَيَلْعَنُهُ اللَّاعِنُونَ) اللاعنون هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ في الروايات وإلا لعنتي ولعنتك على أحد ما قيمتها!! لكن إذا لعنَ مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ أحداً هي هذه التي تترك أثراً (وَكَيْفَ يَفْرِضُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ طَاعَةَ مَنْ يَحْجِبُ عَنْهُ مَلَكَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قضية منطقية واضحة (وَكَيْفَ يَفْرِضُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ طَاعَةَ مَنْ يَحْجِبُ عَنْهُ مَلَكَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ تَنْصَرِفُ إِلَى سَبْعِينَ وَجْهًا) أيها الباحثون عن معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ هذه القوانين (وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ تَنْصَرِفُ إِلَى سَبْعِينَ وَجْهًا وَكُلُّ مَا فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَالْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَالْكَلَامِ الْقَدِيمِ مِنْ آيَةٍ تُذَكِّرُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْوَجْهَ وَالْيَدَ وَالْجَنْبَ) يعني العين المنسوبة إلى الله، اليد المنسوبة إلى الله (فَالْمُرَادُ مِنْهَا الْوَلِيُّ لِأَنَّهُ جَنْبُ اللهِ وَوَجْهُهُ

الله يعنّي حقّ الله وعلم الله وعين الله ويدّ الله فهم الجنب العليّ والوجه الرّضيّ والمنهل الرّوي والصّراط السّوي
والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورّضاه) ويستمرّ عليّ صلوات الله عليه (سرّ الواحد والأحد) هؤلاء هم
محمّد وآل محمّد، إمام زماننا (سرّ الواحد والأحد) فلا يُقاسُ بهم من الخلق أحد فهم خاصّة الله) إذا كان
موجود في نهج البلاغة أو في بعض الروايات لا يقاس بال محمّد من هذه الأئمّة أحد هذا النصّ أعمق
ونصوص أخرى مثل هذا النصّ، من كلّ الخلق (سرّ الواحد والأحد) فلا يُقاسُ بهم من الخلق أحد فهم خاصّة الله
وخالصته وسرّ الديان وكلمته وباب الإيمان وكعبته) هم الكعبة الحقيقة (وحجّة الله ومحجّته وأعلام الهدى ورآيته
وفضل الله ورحمته وعين اليقين وحقيقته وصراط الحقّ وعصمته ومبدأ الوجود وغايته وقدره الربّ ومشيتيه)
تتذكّرون قلت بأنّه في معرفة الكتاب والعترة أنّ أهل البيت هم الغاية بل هم غاية الغايات وهذا الكلام يشير
إلى هذه الحقيقة وليس فقط هذا الكلام بل كلّ الحديث وكلّ الكتاب يتحدّث عن هذه الحقيقة (ومبدأ
الوجود وغايته وقدره الربّ ومشيتيه وأمّ الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي وحفظته وآية
الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في
سماء العظمة المحمّدية) مرّ علينا قبل قليل ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه العظمة من صفاته دائماً (في
سماء العظمة المحمّدية والأغصان النبوية الثابتة في دوحه الأحمديّة والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشريّة
والذريّة الزكيّة والعترة الهاشمية الهادية المهديّة أولئك هم خير البرية) الكلام الذي مرّ في سورة البينة ﴿وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ﴾ الآيات التي في نفس هذه السورة التي تحدّثت عن خير البرية شيعة عليّ (فهم الأئمّة الطاهرون والعترة
المعصومون والذريّة الأكرمون والخلفاء الراشدون والكبراء الصديقون والأوصياء المنتجبون والأسباط المرصيون

وَالْهُدَاةُ الْمَهْدِيُونَ وَالغُرُّ الْمِيَامِينَ مِنْ آلِ طِهٍ وَيَاسِينَ وَحُجَبِ اللَّهِ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ اسْمُهُمْ مَكْتُوبٌ عَلَى الْأُحْجَارِ
وَعَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ وَعَلَى أَجْنِحَةِ الْأَطْيَارِ وَعَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَلَى الْعَرْشِ وَالْأَفْلاكِ وَعَلَى أَجْنِحَةِ
الْأَمْلاكِ وَعَلَى حُجُبِ الْجَمَالِ وَسَرَادِقَاتِ الْعِزِّ وَالْجَمَالِ وَبِاسْمِهِمْ تُسَبِّحُ الْأَطْيَارُ وَتَسْتَغْفِرُ لِشِعْبَتِهِمُ الْحَيْتَانُ فِي لُجَجِ
الْبَحَارِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ أَحَدًا إِلَّا وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْإِقْرَارَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْوَالِيَّةِ لِلذَّرِيَّةِ الزَّكِيَّةِ وَالْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَإِنَّ
الْعَرْشَ لَمْ يَسْتَقِرَّ حَتَّى كُتِبَ عَلَيْهِ بِالتُّورِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَكِيُّ اللَّهِ) ومرّت علينا الروايات في
قضية الشهادة الثالثة، نفس المضامين تلاحظون الروايات التي بدأنا فيها من أوّل البرنامج وإلى يومنا هذا
نفس الشيء مضامين واحدة، حديث أهل البيت، حديث القرآن والعترة حديث واضح جليّ صريح، حقائق
بيّنة ولكن ماذا نصنع للذين حاروا بين التنزيل وبين التأويل.

هذه خطوطٌ عامّة من حديثٍ في معرفة الحجّة بن الحسن بالنحو الجمل وبالنحو الذي فيه شيءٌ من التفصيل
إنّه عنوان هذه الحلقة الحجّة بن الحسن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه بين التنزيل والتأويل، يوم غد إن
شاء الله تعالى الحلقة القادمة (الحجّة بن الحسن بين علماء الشيعة).

أودّعكم على ولاء الحجّة بن الحسن أيّها الفاطميّون

أسألكم الدعاء جميعاً

تصبحون تمسون دائماً أنتم مع إمام زمانكم صلوات الله وسلامه عليه

زهراييون نحن والهوى زهراي

يا زهراء

في أمان الله.

* ملفّ التنزيل والتأويل متوفر بالفديو والأوديو على موقع زهراؤن

www.zahraun.com